إشكالية المركز والهامش في الأدب.

الأستاذ الدكتور: عبد الرحمن تبرماسين
الأستاذة: صورية جيجخ
قسم الآداب واللغة العربية
كلية الآداب واللغات
جامعة بسكرة– الجزائر

للحديث عن المركز والهامش يستحضر الذهن صورة تتجلى في أصل الأشكال الهندسية وهي الدائرة، إذ لكل دائرة مركز ومحيط، ومن الدائرة نستخرج الأشكال الهندسية الأخرى، وبذكر المركز والمحيط نذكر الموضع والموقع، والهامش، والمتن وهذه الألفاظ فيها من التقابل ومن التضاد ما يطرح عدة أسئلة فكرية وفلسفية، فمتى يكون المركز مركزا؟ ومتى يكون المحيط هامشا؟ وماهي السمات المشتركة بينهما؟ أو ماهي الصفات التي تفصل بينهما؟ ومتى يكونان ضديين؟ ومتى يكونان مؤتلفين أو يكملان بعضهما بعضا؟ وهل من فرق بين الموضع والموقع؟ وهل المواضع تصلح أن تكون مواقع؟ أم هناك استراتيجية ليكون الموضع موقعا؟ أم لها صفة الارتباط بالمكان، ومن منهما المركز والهامش؟ وما أهمية المكان في موضوع المركز والهامش؟

هذه سلسلة من الأسئلة قد لا تنتهي، وقد تدخلنا في جدل ما يراه الواحد منا مركزا يراه الآخر هامشا والعكس صحيح. وللولوج إلى عالم المركز والهامش نحاول تقريب الصورة للمتلقي، من خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي.

أولا: تعريف المركز

أ– لغة: من ركز، الرّكز وهو غرزك شيئا منتصبا كالرّمح ونحوه. والمراكز هي منابت الأسنان. ومركز الجند هو الموضع الذي أمروا أن يلزموه وأمروا أن لا يبرحوه. ومركز الرجل هو موضعه. يقال أخلّ فلان بمركزه، ومركز الدائرة هو وسطها.[1]

ولعلنا نقول أن مركز الرجل هو موقعه لأن الموقع يخالف الموضع، فكل المواضع ليست مواقع، في حين يمكن للموقع أن يكون موضعا في ذات الوقت، والخلاف

بينهما يكمن في الاستراتيجية لأن المواقع تخضع لاستراتيجية معينة سواء في الحرب أو في السلم وفي التسيير أو في التدبير، وكذلك الأمر في السياسة والاقتصاد والادارة.

والمواقع كما تكون في المركز أو حول المركز، كذلك هي في الهامش، إذ في الهامش مواقع، فهامش يخضع لهامش أقوى، والهامش الأقوى يخضع للمركز ويرتبط به كما هو الشأن في المتن، ومتى كان الهامش كله متجانسا ومتجاوبا؛ يكون ذا أثر على المركز سلبا وإيجابا.

مركزي: الذي تتشعب منه فروع ترتبط به وترجع إليه.

مركزية: جمع السلطة في مركز واحد، ركّز بمعنى كثّف، تركّز أي أصبح أكثر قوة وكثافة، وانصبّ على مسألة أو عمل وانحصر فيهما.[2]

فكل هذه المعاني تتصل بالقوة والتحكّم في الملك والسمو، وترتبط بالتكثيف والاستحواذ، والقدرة على أخذ القرارات ومختلف الأحكام كالفصل والوصل، والتعيين والإلزام والتسخير.

ب- اصطلاحا: يبدو للوهلة الأولى أنه لا تخلو دائرة من مركز، ولا أي محيط من مركز، ولا يمكن لهامش أن يكون بلا متن، ولأجل ذلك سالت أودية من حبر تتقصى أمر المركز والهامش، فعرض الكثير من الدارسين لقضايا المركز والهامش على مستوى البنية السوسيو ثقافية أو السوسيو اقتصادية كما كان الشأن في الدراسات النفسية والسياسية أيضا، فحيثما حل المرء إلا والهامش والمركز يتبعانه كالظل، إذ لا يعقل أن يعيش المرء أو المجتمع في دائرة بلا مركز أو بلا هامش ولذلك أخذ المركز والهامش عدة تعاريف اصطلاحية متباينة حسب مجال المهتمين.

استخدم هذا المصطلح في بداية القرن التاسع عشر في فرنسا عندما زادت قوة الحكومة على المنظمات السياسية المحلية وطغت عليها و"هو تعبير يستخدمه علماء الاجتماع بمفهوم اجتماعي وجغرافي، للدلالة على العلاقة القائمة بين قلب القوة والثقافة لمجتمع ما ومناطقه المحيطية"[3].

فالمركز بوصفه مصطلحا يرد بكثرة في علم اجتماع التنمية بصورة كبيرة، إذ يشيرإلى مستوى عال من التركيز في الهيمنة والسيطرة،" فهو عملية أيكولوجية تتجمع بمقتضاها الخدمات في منطقة محددة، وهي عادة ما تكون مركزا لوسائل الاتصال والمواصلات".[(4)]

ومن ثم فالمركز يحيلنا مباشرة إلى المدن الكبرى حيث مراكز التعليم، والصحة، والتجارة، والبنوك، ومختلف التجمعات الاقتصادية والاجتماعية، والسياسية، كما يحيلنا إلى النظم السلطوية حيث دوائر اتخاذ القرار، أو دوائر المركز المتحكمة في دواليب الحياة اليومية لعموم المواطنين.

ولقد قدم عدد كبير من الباحثين تحديدات مختلفة لمصطلح المركز من أهمها: دراسات" كيلسن"(kelsen) الذي ينحى إلى أن المركز هو القانون الأمثل بكل معاييره[5]، باعتبار أن القانون هو القوة التي تنظم الجميع، وتتحكم فيهم، والكل يحتكم إليه، ولذلك أخذ صفة المركز، لأن كل أفراد المجتمع يعودون إليه في جميع الحالات وعليه فــ:" كيلسن" يعتبر المركز الاتجاه الصحيح والنظام الذي يجب الامتثال له، ويستحق أن يكون بمثابة قانون ومسير مثالي.

واستخدم" راؤول بربيتش"[*]" Raoul Prebish" مصطلح المركز لأول مرة في طرحه لقضية الاقتصاد العالمي الحر الذي قسمه إلى قسمين بارزين: الدول الصناعية البالغة التقدم، في مقابل دول المحيط وهي الدول النامية وقد اعتمدت دول المركز هذا التقسيم الذي فرضه التقدم الصناعي في القرن التاسع عشر[6]، ويبقى الحال هكذا فدول المركز تزداد تقدما وبسرعة وتلقائية. أما الدول النامية المستغلة، فقد بقي تقدمها جد بطيئا وغير مستقر، ليتحول هذا النموذج إلى أيديولوجية سياسية تبرز شعور الدول النامية بالإحباط والتهميش والاستبعاد عن دائرة الحضارة والإنتاج الآلي، في حين تستأثر الدول المتقدمة بكل شيء وتحتل الصدارة؛ لتحكمها في أدوات الإنتاج ووسائله.

المركز الثقافي:

فهو ذلك المكان المكثف ثقافيا، لما يتوفر عليه من وسائل الإعلام والتعليم والتثقيف والتنشيط الذهني بكل الوسائل المتاحة بيداغوجيا وهذا كالمحاضرات والمعارض المختلفة لكل الفنون الرسم، النحت، السينما، المسرح، المناظرات، معارض الأزياء والنباتات والألعاب الذهنية وكل ما يشمل التراث الذي تجاوزته التكنولوجيا الحديثة. وباختصار فــ" هو المكان الذي تسود فيه سمات ثقافية، أو مركب ثقافي خاص، في صورته الأكثر انتشارا أو تمثيلا"[7].

وغالبا ما تكون مثل هذه المراكز في العواصم بالدرجة الأولى، أو في الحواضر العلمية التي يشهد لها التاريخ بذلك مثل:" **قسنطينة**"،" **بجاية**"و" **تلمسان**" فهي حواضر

تاريخية تملك من الزاد العلمي والتاريخي ما يسمح لها بتحريك عجلة الثقافة يوميا. فالمركز الثقافي يستأثر باهتمام المسؤولين وذلك بتشجيعهم للنشاطات الثقافية، ودعمها ماديا ومعنويا، وهذا ما نجده في المدن الكبرى مثل:" **وهران**" و" **عنابة**"، فمثل هذه المدن غالبا مايطلق عليها اسم" **العواصم الثقافية**" ولذلك فالمراكز الثقافية هي التي تتوفر على جامعات ومراكز الإعلام، ودور التعليم، والمكتبات، ودور السينما، والمسارح وقاعات العرض التي تسمح بإقامة مختلف النشاطات الثقافية كل هذه المرافق تبعث على ديناميكية حقيقية لتطور مكان ما ليصبح مركزيا ومحل اهتمام الجميع.

الأدب المركزي:

فقد تباينت التعاريف التي عرضت له، فهناك من يرى أنه:" الأدب البلاطي، وأدب يشتغل بحياة الترف التي يحياها الخاصة من الساسة ورجال الدين أحيانا".[8]

وبحسب هذا التعريف فالأدب المركزي هو ذلك النوع من الأدب الذي يخدم الطبقة العليا في المجتمع، ولذلك فهو دائما محتفى به ومحاطا بالاهتمام والحضوة لأنه النموذج المكتمل الذي يحتذى به لا لكونه بلغ الذروة في كمال التعبير، ولكن لكونه موافقا للسلطة ولمخططاتها، وهو بمثابة وسيلة اشهار ودعاية لها لأنه يشيد بإنجازاتها ولو كانت فاشلة،" فهو يحظى بالرعاية السامية من قبلها، فتقام له المهرجانات والأماسي ويدرج في المناهج التربوية، وإجمالا هو الأدب الرسمي المتداول"[9]، ومجمل القول: إن الأدب المركزي يساوي الأدب الرسمي/ أدب البلاط. ولعل بعض الدارسين يدرج الأدب الكلاسيكي ضمن دائرة المركز أو ضمن دائرة أدب السلطة، وإن كنا لا نجاري هذا الرأي لأنه ليس كل أدب كلاسيكي بالضرورة هو أدب السلطة، فمن الأدب الكلاسيكي ما هو مقاوم ورافض، وخير مثال أدب الصعاليك والمتمردين على مختلف النظم القبلية والعشائرية، ومختلف السلط. فليس أدب البلاط هو الأدب الرسمي والمحتفى به دائما. فالأدب الذي لا يعارض السلطة ومصالحها حتى وإن لم يكن أدبا مركزيا فإنه قد يكون أدبا ضمن البرامج الدراسية وخاصة إذا كان يخدم مصالحها ولا يواجهها، وقد يعتلي منصة المركز في يوم ما.

ثانيا: تعريف الهامش:

أشرنا سابقا إلى أن الدائرة هي أساس الأشكال الهندسية، فمحيطها الهامش، ومحيط كل شكل هندسي قد يكون هامشا. فالهامش في:

أ– لغة: لهذا المصطلح في اللغة عدة دلالات فــ:"هَمْشَ والهَمْشَةُ: الكلام والحركة. وامرأة هَمْشى الحديثِ بالتحريك، تكثر الكلام وتجلّب".[10] والهمش كثرة الكلام؛ وكأننا من خلال هذا التعريف ندرك أن كثرة الكلام من سمة الهامش أو أن الأدب الهامشي هو أدب الغوغاء أو أدب العامة من الناس. فالكلمة تحيلنا إلى الحركة، وتخرجنا من سكون الصمت.

فــ" الهامش: حاشية الكتاب، و" هامش صفحة" إضافة تعليق على المتن، يقال عن المرء عاش على الهامش؛ بمعنى عاش منفردا أي غير مندمج في المجتمع، أو لا يريد الاندماج فيه. هذا بإرادته وإذا كان بغير إرادته فهو مهمش من قبل غيره أو ممن له السلطة عليه.

هامشي:« الذي يعيش منفردا غير مندمج في المجتمع. **مكتوب في الهامش:** تعليقات هامشية لا دخل له بما هو مهم ولاعلاقة له بالنشاط الأساسي»،[11] واللافت من هذا التعريف أن الهامش هو مالا علاقة له بما هو مهم في النص المتن أو في غير النص وهذا خطأ لأن المتن لا يستغني عن الهامش ففيه ندون تفسير المفردات وشروح بعض المعاني أو نضيف تعليقات تزيل اللبس عن المتن، أما سياسيا واقتصاديا فلا يمكن للمركز أن يستغني عن الهامش فهما في علاقة دائمة؛ قد تكون متكاملة وقد تكون متضادة، أما أن يكون الهامش أو الهامشي لا علاقة له بما هو مهم كالمركز والمتن فهذا خطأ.

وقولك أيضا:" همش يهمش تهميشا: الكتاب ونحوه أي أضاف ملاحظات على هامشه، همش الموضوع أي جعله هامشيا ثانويا"[12]. وهذا ما هو عليه في مختلف المخطوطات العربية القديمة، وقد نعثر على هامش الهامش أيضا.

وقد نستنتج مما سبق فنقول: إن كل هذه الدلالات المطلقة على" **الهامش**" توحي لنا بالدونية وقلة الشأن والوضاعة.

ب– اصطلاحا:

لقد انتشرت فكرة التهميش في الآونة الأخيرة انتشارا واسعا، لتمس جميع المجالات السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية.

ولذلك قالوا في الهامش: إنه ذو أبعاد متعددة ومختلفة فهو يطلق بصفة عامة على كل منبوذ ومتمرد ومتجاوز لسلطة المركز، فها هو" فانسون باير"" Vincent-Peyre" يستهل دراسته التاريخية بتوضيح لفظة الهامش فهي بحسبه لفظة جديدة وحديثة العهد،

وتجمع إجمالا بين عدة مواقف فيقول:" فالهامشية بين المنحرف والمتشرد من الناحية القانونية، وبين المجنون والمدمن من الناحية الصحية، وبين الأمي والمهاجر من الناحية الثقافية، وبين الفقير جدا والعاطل من الناحية الاجتماعية والاقتصادية"[13].

المتأمل لهذا القول لا يجد فيه تعريفا اصطلاحيا يشفي الغليل، إلا أنه يثير انتباه الباحث في هذه المسألة، مسألة التهميش، وأين تكمن مجالاتها؟ فكل مجال من هذه المجالات مرتبط بدائرة معينة مك دوائر: القانون، والصحة، والثقافة، والاجتماع، والاقتصاد.

استطاع" فانسون" الإلمام بكلمة الهامش في كثير من جوانبها ونواحيها المذكورة سابقا إلا أنه أهمل الجانب السياسي الذي يجسد فكرة المركز والهامش، إن لم يكن بالحيلة فبقوة الحكم؛ وهو المؤثر الرئيس الذي يسعى دائما إلى التمركز وتهميش الآخر.

أما" **الأدب الهامشي**" فهو:" كل أدب ينتج خارج المؤسسة سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو أكاديمية"[14].

وبذلك عدّ كل أدب متمرد على السلطة والتقاليد أدب هامشي، فحكم عليه بالموت، لأنه تجاوز المألوف وتحدى السلطة، وكذلك عدّ كل خروج عن المألوف تحديا للكتابة الكلاسيكية ولقواعد الكتابة المألوفة وتهديدا لها فيصنف بذلك ضمن الأدب الهامشي، وهناك من يرى أن مركزية الأدب لا تعني سلطة الدولة وإنما تعني سلطة مؤسسة الكتابة إن جاز هذا الاصطلاح.

يشير" جابر عصفور" إلى هذه القضية بأنها:" ليست سلطة الدولة، ولكنها سلطة الكتابة الكلاسيكية والرومانسية التقليدية، فكل كتابة تخرج عن النسق المألوف تعتبر كتابة هامشية"[15]؛ إذن لقد أخرج سلطة الدولة وربط هامشية الكتابة بقواعد الكتابة التقليدية، فالهامش هنا بالنسبة للأدب والكتابة وقواعدها لا بالنسبة للسلطة.

وبناء على ذلك فكل كتابة تبزغ بفجر جديد متجاوزة النسق المألوف، محطمة القيود التي تعرقل حيويتها، وتخنق جمالياتها، قد يحكم عليها بالفشل، فتعيش في الظل وتموت فيه، دون أن يسمع بها أحد أو يحتفى بها ولعلها قد تجد من ينفث فيها الروح في يوم ما فيشهرها ويعيد نشرها فتحدث دويا وضجيجا إعلاميا فتتجاوز كل الأطر وتصنع لنفسها فئة من القراء كما هو حال" **الخبز الحافي**".

والرؤية بهذا المنظار الأسود تجعل من بعض الشعر الحداثي مثلا أدبا هامشيا، كونه خرج عن السائد المألوف، وتجاوز التقاليد، وضرب بها عرض الحائط، وبهذا حكم على أدب الهامش العيش في العتمة والظلام، بعيدا عن الأضواء، ومراكز الإعلام لأنه مستبعد وغير مرحب به.

ووفق هذا التعريف يعني أن كل أدب خرج عن مؤسسة الكتابة السائدة هو أدب هامشي، فهل الأدب الذي يصور حالة المهمشين والمسحوقين في المجتمع هو أدب هامشي إذا كان خاضعا لقواعد مؤسسة الكتابة؟ أم أن الأمر يتعلق فقط بكل أدب لا يقر بالقوالب الجاهزة، و" يتعدى تقنيات الكتابة وتقاليدها السائدة، مطيحا بالكلاسيكية، وما أعتيد عليه"[16]؟

الحقيقة إن المبدع لا يعرف القيود، ولا يعترف بالقوانين، لأنه يعيش في حالة قلق السؤال وقلق الفن مما يجعله يُبحر نحو عالم مجهول، محطما كل ما يعرقل رحلته، متجاوزا لكل ما يحد من طموحاته وأحلامه، باحثا عن النادر، والتفرد والتميز عن غيره، مستقصيا عن الجديد.

ومن الدارسين من يرى الأدب المهمش على أنه:" الأدب المغضوب عليه من طرف المؤسسة، إما لأنهم يحاربونها علنا، أو يقدمون بدائل للحياة"[17]، فأدب الهامش أو المحيط يأتي دائما لما هو مخالف للسائد والمعتاد، حافلا بالجديد، عامرا بالمفاجآت، فتقوم المؤسسة(الكتابة/ السياسية) بلجم صوته، وقمع أفكاره، ومنعه من تجاوز الخطوط الحمراء.

وعلى هذا فأدب الهامش يبقى مستبعدا عن الحياة الثقافية التي تحياها الأمة والدولة التي يوجد فيها، ولا يلتفَت إليه إلا من قبل الجسورين الذين يريدون أن يعيشوا حياتهم بكل حريتهم، أو من المعارضين لأنظمة الحكم، ولا يقدم له يد العون مادام معارضا للسلطة، ولا يحتفى بها.

هذا ما جعل أدباء الهامش يعيشون في الظل بعيدا، ويفقدون الأمل في البروز، ويرضون بالحياة مع المهمشين، يترصدون تقلباتهم في الحياة، ومعاناتهم اليومية في كسب قوت يومهم، فينتجون إبداعات باهرة، لكن للأسف الشديد لا أحد من السلط المركزية يستمع إلى أصواتهم، وأناتهم الخافتة، فيموتون ويخرجون من الحياة دون أن ينتبه لهم أحد.

بينما اختارت فئة من المبدعين العيش على أمل البروز يوما، وانتشال إبداعاتها وهمومها من الظلام الى النور، ومن حضيض الهامش إلى سماء المركز.

ثانيا: طبيعة العلاقة بين المركز والهامش

منذ عقود كانت هناك مناطق ومدن بعيدة عن مركز صنع القرار السياسي والثقافي، وبقيت تعاني من التهميش لأن السلط بمختلف أنواعها تتركز في العاصمة، وكل ما تجود به هذه السلط يعود بالفائدة على بعض المدن الكبرى التي تملك تاريخا حافلا بالإنجازات، وفي وقت ما كانت بمثابة عاصمة كـــ:" **تلمسان**"، أو عاصمة إقليم " **قسنطينة**" في عهد البايات مثلا، وعليه نتساءل عن طبيعة العلاقة الرابطة بين المركز والهامش؟

وبدءا نشير إلى ممارسات المركز الضاربة في القدم،" فللمركز قدرة على ابتداع آليات للفرز، وتكريس الأصيل والمباح، وتغييب مايراد له"[18]، وقد ساد ذلك في كل الأنظمة الملكية وغير الملكية، الدينية وغير الدينية عبر مختلف العصور إلى يومنا هذا، والتغييب مازال يمارس إلى الآن عبر مختلف الوسائل الإعلامية بكل أشكالها وأصنافها وعبر الشاشات والاستعراضات التلفزيونية التي نشاهدها كل يوم" تحتشد نصوص وأصوات مغيبة، أو أريد لها أن تكون منذورة للنسيان، ذلك ما يكشفه الانتباه السوسيولوجي والتاريخي السيميائي"[19].

لكن هذا المغّيب قد ينفلت من سيطرة المركز، فالهامش قادر على ذلك، فكلما أزيل هامش ظهر آخر.

أما على المستوى السياسي، فالنظام الدولي الذي أرسى قواعده بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية ليس فوضويا، بل هو منظم تنظيما محكما، قوامه الهيمنة، السيطرة والاستعلاء،" فلا حق ولا باطل، ولا صواب أو خطأ، ولا عدل أو مساواة إلا ما تراه القوى الكبرى أو المركز."[20]

أما القوى الضعيفة قوى" الهامش" فلا شأن لها في بناء هذا النظام، وما عليها سوى الاجتهاد في الطاعة والخضوع، وإلا كانت عواقبها وخيمة، فالعالم ينقسم إلى " مركز" تمثله القوى العظمى صاحبة القوة والقوى الإنتاجية والعلم وإنتاج المعرفة، و" هامش" يدور في فلكه بإرادته أو لا إرادته تمثله دول العالم الثالث.

" **للمركز**" آلياته العلمية والاقتصادية التي يتحكم بها في الهامش، ولم يعد ذلك المركز الذي كان يلجأ إلى القوة العسكرية للتحكم في هذا الهامش واستغلاله، هذا المركز لم يعد يقوى على بعث أبنائه نحو ميدان الحروب لاستغلال الشعوب واستعبادها بوسائل الإبادة، وإنما أصبح يملك أسلحة فتاكة أفضل من تلك التي كان يستعملها؛ أصبح يملك العلم وإنتاج المعرفة، والتحكم في وسائل الإنتاج والتقنيات الدقيقة التي لا تقوى دول الهامش على إنتاجها، لذلك يفرض المركز سطوته وسلطته وقراراته على تلك الدول؛ بل هو الذي يوجهها سياسيا واقتصاديا، ويتحكم بقراراتها بل وفي تعيين ساداتها، ويتجلى ذلك في الساحة العربية والإسلامية خصوصا، ولم يسمح لهذه الأخيرة الوصول إلى السلطة، وإن وصلت كما هو حال مصر بعد مبارك، فإن القوى التي تعمل خفية وبتحريك من القوى الاقتصادية والسياسية، الداخلية والخارجية، لا تسمح لها بأخذ نفسها لتحديث دواليب السلطة وتحريك آليات الإنتاج لإنقاذ الاقتصاد مما هو عليه.

إن قوى الغرب ليس لها من مهمة إلا دعم النظم القائمة على التشويش على القوى الأخرى، من أجل إحباطها، والحيلولة دون أي نهوض إسلامي وعربي[21]، أو السماح لأية قوة ناشئة تملك مشروعا حضاريا يسعى إلى بناء دولة حديثة تساير الركب الحضاري القائم.

هكذا أعلن الغرب" المركز" حربا صليبية على الإسلام، للحيلولة دون أي نهوض تحت أي مسمى، فهذه الحرب انظمّ إليها أعداء الإسلام من اليهود والهندوس والبوذيين وذوي المصالح والمكاسب، بمن فيهم الدول والجماعات الإرهابية التي عمدت إلى حشد القوى المناهضة والعلماء لاستصدار ما يلزم من الفتاوى، نزولا عند رغبة" المركز"، أو طمعا في تلقي الدعم السياسي، والأمن في مواجهة الداخل، أو حفاظا عل مكاسب موهومة.[22]

فالجرائد والصحف والقنوات التلفزيونية تؤكد كل هذه الأمور، وتسعى إلى تشويه صورة الإسلام، والمسلمين.

إن" الهامش" لا يستطيع الاستقلال عن المركز ولا في مقدور المركز الاستغناء عن الهامش فكلاهما يكمل الآخر، إلا أن تبعية الهامش للمركز هي البارزة أكثر، والهامش لا يستفيد عادة من النظم والقوانين وخاصة ما تعلق بالاقتصاد، ومختلف وسائل الإعلام التي تساهم في الحراك الثقافي، لأنها في الغالب تخص أو تتركز في المدن الكبرى

والعواصم، فثقافتنا تعاني من غطرسة" المركز"، وتفضيله لنفسه ورموزه وتوابعه، على حساب" الهامش" الأوسع.[23]

ويتجلى ذلك من خلال تركيز الأضواء الإعلامية في مكان دون آخر، وغالبا ما يكون هذا المكان متمثلا في العاصمة.

أما القرى وبعض الولايات وخاصة ولايات الجنوب ومدنه فإن ما يصل إليها ضئيل بل شبه منعدم، لا يليق بالمواهب والطاقات المبدعة التي يحفل بها" الهامش".

لهذا كان المبدع والمثقف الجزائري يفر من المدن الداخلية، كونها أماكن مهمشة، متجها نحو العاصمة حيث الأضواء الإعلامية.

وما نلاحظه في السنوات الأخيرة بالجزائر هو تعدد الإعلام في كافة المدن والقرى، ما جعل الإعلام منتشرا بتعدد القنوات الجزائرية أو الإذاعات الجهوية كإذاعات " **الأوراس**"و" **الزيبان**" و" **ورقلة**" على نحو أوسع، ربما هذا ما قلل بعض الشيء من سطوة" **المركز**" الثقافي على" **الهامش**" وهذه هي سياسة الجزائر الجديدة التي تبحث عن التوازن الجهوي، فهذا الأخير يتطلب الإنصاف، ومع هذا لايزال هناك بعض التقصير والتغاضي،" ولا تزال هناك بؤر بين" **المركز والهامش**" في هذا المجال، كما لا يزال هناك تقصير في تغطية الفعاليات الثقافية من قبل الفضائيات المهمة التي تتابعها، وهناك أسباب تدفع هؤلاء المراسلين إلى التغاضي عن نقل الحراك الثقافي، وتتوجه بالاهتمام إلى السياسة والاقتصاد[24]، فالثقافة والعولمة من شأنها أن تدفع بحضارة ما وتضاعف من قيمتها ومكانتها بين الأمم، وعليه فالثقافة المتوازنة لا تتحقق إلا بمعالجة النقائص والتقصير الحاصل في هذا المجال، والاهتمام بنشاط القرى النائية والأخذ بيد المثقفين حيث ما وجدوا ودعمهم ماديا ومعنويا.

ونخلص إلى أن" المركز والهامش" متتابعان ومتلازمان وراء خلفية الصراع ولولا وجود" المركز" لما ظهرت هناك" هوامش"، كما أن" المركز" عامل محفز في كثير من الأحيان، لأنه يخلق في" الهوامش" آمالا وأحلاما في الرقي، والتطلع الى الأفضل، وبذلك يخلق الحركية فينتعش الإبداع عبر المنافسة، ويمكن" للمركز والهامش" تبادل الأدوار بالغلبة والقوة، لأن" المركز" يستوجب الهيمنة والقوة والسيطرة على زمام الأمور.

الهوامش:

1 ابن منظور الإفريقي أبو الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم: لسان العرب، دار الصادر، بيروت، المجلد الثالث، ط1، 1997، ص 113.

2 أنطوان نعمه وآخرون: المنجد الوسيط في اللغة العربية والمعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط1، 2003، ص 437.

3 ميشيل مان: موسوعة العلوم الاجتماعية، تر: عادل مختار الهواري، سعد عبد العزيز خضلوح، 1999، دار المعرفة الجامعية، ص 99.

4 محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، د ط، دار المعرفة الجامعية، ص 52.

5 يراجع: محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، ص 56.

* أول سكرتير عام لمؤتمر التجارة والتنمية التابع للأمم المتحدة، قفا سياسة جديدة للتجارة من أجل التنمية عام 1964.

6 يراجع: ميشيل مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، ص 99.

7 محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، ص 56.

8 لعلى سعادة: أدب الهامش نغمة للغناء... وأخرى للبكاء، مقال منشور في ندوات المخبر، الموقع: www.labreception.net فيفري 2011.

9 ليلى جغام: وصف التجربة الشعرية للشاعر رضا ديداني" ممثل أدباء الهامش بالجزائر" مقال منشور في ندوات المخبر قسم الآداب واللغة العربية، جامعة بسكرة، الموقع: www.labreception.net فيفري 2011.

10 ابن منظور الإفريقي أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، المجلد السادس، ص 355.

11 انطوان نعمة وآخرون: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار النشر، بيروت، ط1، 2000، ص 149.

12 أحمد العايد وآخرون: المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة، لاروس، 1989، ص 1272.

13 بركات محمد أرزقي: الثقافة الهامشية وأثرها على الانحراف" دراسة ميدانية نفسية اجتماعية" رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، الحلقة الثالثة في علم النفس الإكلينيكي إشراف

الاستاذين د. نور الدين طوالبي، د. مصطفى حداب، جامعة الجزائر، سنة الدراسية، 1988، 1989، ص 27.

14 محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، د ط، دار المعرفة الجامعية، ص 52.

15 حسن البحراوي: أدب محمد شكري من الهامشية إلى المركزية، مجلة علامات مكناس، المغرب، العدد 18، السنة 2002، ص 9. Alamatrevue@yahoo.Fr 2012/02/15

16 محمد بن سعيد: أدب الهامش في المغرب، صورة المرآة المحدبة www.univ.com/?p=65p 2012/ 02/27

17 كمال الريحاني: الفلسفي في عشب الليل لإبراهيم الكوني.

http : www.diwanalarab.com/spip.php?article93 2012 /03/17

18 نصر الدين اللواتي: التفكير في الهامش ولعبة المركز المربية عن المنذور للنسيان في الثقافة والمدينة والتاريخ. 2013 /06/11 /http :doc.algazeera.net/magazin.

19 نصر الدين اللواتي: التفكير في الهامش ولعبة المركز المريبة.

20 أكرم حجازي: صراع المركز والهامش، تأملات في شريط العاصفة الشعبية http://www.Almoraqeb.net//main/articles-action-show-id304htm 2013 /06/11

21 أكرم حجازي: صراع المركز والهامش.

22 ينظر المرجع نفسه.

23 ينظر: علي حسين عبيد، منهج تركيز المركز وتهميش الهامش. http://www.annabaa.org/nbanews/2011/05/29

24 علي حسين عبيد: منهج تركيز المركز وتهميش الهامش.